وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة 1

كلّية الآداب و اللّغات

قسم الآداب و اللّغة العربية

المقياس : التّطوّر الدّلاليّ

المستوى: السّنة الأولى ماستر/ تخصّص لسانيات تطبيقيّة / المجموعة الرّابعة

المحاضرة الرّابعة : أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ

إعداد : د/ رفيقة بن ميسيّة

السّنة الجامعيّة 2020-2021م

المحاضرة الرّابعة : أسباب وعوامل التّطوّر الدّلاليّ

توطئة :

قبل الشّروع في تناول موضوع أسباب و عوامل التّطوّر الدّلاليّ ينبغي أن نشير إلى أنَّ هذه الأسباب و العوامل متداخلة فيما بينها ، يصعب الفصل بينها ، و ذلك أنَّ سببا واحدا يمكن أن يكون ذا وجهين أو أكثر ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى، فهي عوامل ليست جامعة وكافية لتوضيح كلّ حالات تغيّر المعنى ، يقول **أولمان** مبيّنا أنّ الأسباب اللّغوية و التّاريخيّة و الاجتماعيّة غير كافية لرصد كلّ تغيرات المعنى : « هذه الأنواع الثّلاثة مجتمعة تستطيع فيما بينها أن توضّح حالات كثيرة من تغيّر المعنى ، و لكنّها مع ذلك ليست جامعة بحال من الأحوال . » ()

و يستشفّ من قول **أولمان** أنّ هذه العوامل ليست كافية لتوضيح كلّ تغيّرات المعنى ،و في الوقت نفسه فهي عوامل و أسباب متداخلة فيما بينها ، قد لا نستطيع الفصل بينها في كثير من الأحيان ، أو التّمييز بينها ، إذ لا يمكن أن نفصل مثلا عامل الاستعمال عن الأسباب النّفسيّة و الاجتماعيّة و التّاريخيّة و غيرها ، فاستعمال لفظ ما في معنى معيّن مرتبط بما تحدثه هذه العوامل من أثر ، يجعله مستعملا أو مستهجنا أو مندثرا أو معمّما أو مخصّصا ، كما لا يمكن أن نفصل أيضا العوامل النّفسيّة عن العوامل الاجتماعيّة و غيرها ، فالمحظور الذي يرجع في غالبه إلى العوامل النّفسيّة مرتبط أشدّ الارتباط بمدى قبوله أو رفضه من قبل المجتمع ، لذلك فتقسيم أسباب و عوامل التّطوّر اللّغوي هو مجرّد تقسيم شكليّ لا أكثر في نظرنا . و فيما يلي توضيح لهذه الأسباب و العوامل:

أوّلا : الأسباب اللّغويّة :

و هي أسباب نابعة من اللّغة ذاتها ، وهذه الأسباب تتفرّع في داخلها إلى أمور أخرى، أهمّها :

1/الاستعمال :

تغيّر مدلول اللّفظ مرتبط أشدّ الارتباط بمدى كثرة استعماله ، إذ يحكم على تغيّر دلالة لفظ ما بمدى شيوعه على الألسنة بذلك المعنى ، و يحكم على تراجع مدلول ما أو اختفائه أو هجره بمدى قلّة استعماله أو هجران استعماله بذلك المعنى ، يقول **عبد السّلام المسدّي** : « الألسنة البشريّة لا تتوقّف عن التّغيّر إلاّ إذا انقطعت عن الاستعمال ، فعدّت ألسنة ميّتة تدرس كحقائق تاريخيّة أثريّة . » () ، ويأخذ هذا التّغيّر عدّة أشكال ، منها :

<u>الأوَّلُ</u>: تخصيصُ العامِ أو تعميمُ الخاصِّ:

أ/ كثرة استعمال العام في بعض ما يدلّ عليه تجعله بمرور الأيّام خاصًّا، ويقصر مدلوله على الحالات التي شاع فيها استعماله، ومن ذلك جميع المفردات التي كانت عند العرب عامّة المدلول ، ثمّ شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصّة تتعلّق بشؤون الدّين وشعائره ؛ كالصّلاة والحجّ والصّوم والمؤمنِ والكافرِ والمنافقِ..... إلخ ، فالصّلاة مثلا معناها في الأصل الدّعاء ، ثم شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدّعاء ، و الحجّ معناه في الأصل قصد الشّيء و الاتّجاه إليه ، ثمّ شاع استعماله في قصد البيت الحرام حتّ أصبح مدلوله الحقيقي مقصورا على هذه الشّعيرة () ...

ب/ كثرة استعمال الخاصّ في معان عامّة ، تجعله أيضا بمرور الأيام عامّا ، ومن ذلك في اللّغة العربيّة كلمات : البأس والوِرد والرّائد ... إلخ ، فالبَأسُ في الأصل الشِّدَّةُ في الحرب ، ثم كثُرَ استعمالُه في كلِّ شدّة ، فاكتسب الدّلالةَ على العموم من هذا الاستعمال ، وأصلُ " الوِردِ " : إتيانُ الماء وحده ، ثم صار إتيانُ كلِّ شيء وِردًا ، لكَثرةِ استعماله في هذا المعنى العام . و" الرَّائد" في الأصلِ طالبُ الكلأِ ، ثم صار طالب كلِّ حاجة رائدا ، () .و من ذلك في اللّغة الإنجليزيّة كلمة " **arrive** " و في الفرنسيّة " **arriver** " المنحدرة عن اللاّتنيّة" **adripare** " ، فقد كانت تدلّ في الأصل على الوصول إلى الشّاطئ ، ثمّ شاع استعمالها الآن في كلّ وصول سواء أكان ذلك على القدم أم بأيّة وسيلة أخرى من وسائل الانتقال ، و قد استقرّ معناها على هذا المعنى . ()

الثّاني: انتقال الدّلالة من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي يصبح لطول العهد بها حقيقيّا ؛ أي أنَّ كثرة استخدام الكلمة في معنى مجازيّ تؤدّي غالبا إلى انقراض معناها الحقيقيّ، وحلول هذا المعنى المجازيّ محلّه . () ، و من أمثلة ذلك في اللّغة العربيّة كلمات المجد ، العقيقة ، الوغى ، فالمعنى الأصلي و الحقيقي الذي كانت تستعمل فيه كلمة " المجد" هو امتلاء بطن الدّابة من العلف ثم استعمل في معنى مجازيّ و هو السّموّ و الرّفعة ، و قد كثر استعمال لفظ **" المجد "** في هذا المعنى الجديد حتى نسي معناه القديم () ، و قد ورد في حديث عليّ رضي الله عنه أنَّ رجلا قال له : أخبرني عن قريش ، قال: أمَّا نحن بنو هاشم فأنجاد أمجاد () ، **قال الخطّابي** : قال أبو عبيدة : يقال : أنجدت الرّجُل ، إذا أعنتُه ، أنجده ، و نجَدْتُه أنجدُه ، إذا غلبته ، و الأمجاد : الكرام ، واحدهم ماجِدٌ ، كقولك : شاهِدٌ و أشْهَادٌ قال ابن الأعرابي : المجدُ : الرّفعة و السَّناءُ، و قال بعضهم : أصل "المجد "امتلاءُ بطنِ البعير من العلف، ثمّ قالوا مجَدَ فلانٌ ، فهو ماجدٌ، أي: امتلأ كرمًا () ، فقد انتقلت دلالة اللّفظ من الدّلالة على امتلاء بطن الدّابة من العلف ، إلى الدّلالة على امتلاء الإنسان بمحامد الصّفات ومحاسنها، و قد انقرض المعنى الأصلي و بقي المعنى المجازيّ يستعمل على وجه الحقيقة ، و " العقيقة " هي في الأصل الشّعر الذي يخرج على الولد من بطن أمّه ، ثمّ نقل إلى الذّبيحة التي تنحر عند حلق ذلك الشّعر على سبيل المجاز () ، و قد قال **أبو عبيد (ت 224هـ)** في حديث النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم : " عن الغلام شاتان وعن الجارية شاة " ، قوله : العقيقة ، قال الأصمعي و غيره : "العقيقة"، أصلها : الشَّعْرُ الذي يكون على رأسِ الصَّبيّ **حين يولدُ** ، و إنّما سمّيت الشّاة التي تذبح عنه في تلك الحال عقيقة ، لأنّه يُحلق عنه هذا الشّعر عند الذّبح .» () ، فقد انتقل معنى العقيقة من الدّلالة على الشّعر الذي يكون على رأس الصَّبيِّ حين يولدُ ، إلى الدّلالةِ على الذَّبيحةِ تذبَحُ عنهُ.

الثّالث: استعمال اللّفظ اسما أو مصطلحا علميّا :

استخدام الكلمة في فنٍّ بمعنى خاصٍّ يجرّدها في هذا الفنِّ من معناها اللُّغوي، ويقصرها على مدلولها الاصطلاحيِّ، حيث تشتهر بتلك الدّلالات الاصطلاحيّةّ و تنسى دلالاتها القديمة ، و من أمثلة ذلك مصطلحات الآداب ، والفلسفة، والقانون، والاجتماع، والعلوم، والفنون- وما إلى ذلك..... ()

2/ سوء الفهم : وهي الحالة التي يمرُّ بها السّامع لأوّل مرّة حين يسمع لفظا ، فيغيّر دلالته على ما يفهم ، و بعد سماعها مرّة أخرى يفهمها فهما آخر، و بهذا ينتج للّفظ معنيان ؛ معنى مركزيٌّ ، و آخر هامشيٌّ ، ويمكن قياس هذه الحالة على المجتمعات البدائية التي تتكلّم اللّغة لأوّل مرّة ، فتحدّد معاني مفردات هذه اللّغة بطريقة معيّنة و بعد إتقانها لهذه اللّغة نجدها قد فهمت هذه الألفاظ على نحوٍ مغايرٍ للمفهومِ الأوَّلِ ، فيحدث ما يسمىَّ باندثار الدّلالة الأصليّة و اكتساب دلالةٍ جديدةٍ ، و هذا قد يكون أحد أسباب وقوع المشترك اللّفظيِّ ، و الذي يؤدّي في حقيقة الأمر في كثير من الأحيان إلى عدم المقدرة على إيجاد تفسير معقول للعلاقة التي تربط بين الكلمات أو وجه الشّبه بينها ، و من أمثلة ذلك كلمة " **الأرض** " التي تعني الكوكب المعروف ، و تعني أيضا الزّكام ، و كلمة " **اللّيث** " التي تعني الأسد ، و تعني أيضا العنكبوت ، و كلمة "الغروب " التي تعني وقت الغروب ، و تعني الدِّلاء و هو جمع دَلوٍ ، و تعني أيضا الوهاد المنخفضة . ()

3/غموض معنى الكلمة :

قد يرتبط تغيّر مدلول الكلمة بمدى وضوحها في الذّهن و غموضها ؛ فكلّما كان مدلول الكلمة واضحا في الذّهن قلَّ تعرّضه للتّغيّر، وكلّما كان مبهما غامضا كثر تقلُّبه و مقاومته للانحراف . ()

4/ تغير مدلول الكلمة ؛ لأنّ الشّيء الذي تدلّ عليه تغيّرت طبيعته ،أو عناصره أو وظائفه أو الشّؤون الاجتماعيّة المتّصلة به ؛ و مثال ذلك : **كلمة "الرّيشة"** ،حيث كانت تطلق على آلة الكتابة أيام كانت تتّخذ من ريش الطّيور، ولكن تغيّر مدلولها الأصلي تبعا لتغيّر المادّة المتّخذة منها آلة الكتابة فأصبحت

تطلق على قطعة من المعدن مشكّلة في صورة خاصّة ، وكذلك نجد كلمة **"القطار"** ، تغيّر مدلولها لتغيّر طبيعة الشّيء الذي **كانت تدلّ عليه** ، **حيث كانت** تطلق في الأصل على عدد من الإبل على نسق واحد تستخدم في السّفر ، و لكن تغيّر مدلولها الأصلي تبعا لتطوّر وسائل المواصلات ، فأصبح يطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخاريّة . ()

5 / تطوّر أصوات الكلمة :

قد يعتمد تغيّر معنى كلمة على التّطوّر الصّوتي في بعض أصواتها، فثبات أصوات الكلمة يساعد على ثبات معناها، وتغيّرها يذلّل أحيانا السَّبيل إلى تغيّره ()، و يحدث عادة هذا التّغيّر بين الكلمات المتشابهة أو المتقاربة صوتيا ، ومن أمثلة ذلك تطوّر **" السّين "** في كلمة **" السّغْب "** إلى حرف مناظر له في المخرج و الصّفة ، و هو صوت **"التّاء "**، إذ أنتج لنا صورة جديدة للكلمة تماثل تمام المماثلة كلمة أخرى وهي كلمة **" التّغَب** () . إذ استعمل **السَّغْب أو السّغَب في** معنى الجوع مع التّعب () . و استعمل **" التّغَبُ** في معنى الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا ، كما استعمل **" التّغْبُ "** بتسكين الغين في معنى القبيح و الرّيبة ، و تَغَبَّةٌ في معنى القحط و الجوع . () ، أي أنّ التّطوّر الصّوتي أدّى إلى التّحوّل الدّلالي من المعنى الأوّلِ ، وهو " الجوعِ مع التّعب " إلى المعاني الثّانية ، و هي : الوسخ و الدَّرَن و الهلاك في الدّين و الدّنيا و القحط و الجوع .

و من أمثلة هذا النّوع من التّطوّر أيضا كلمة **" كماش "** الفارسيّة بمعنى نسيج من قطن خشن ، حيث تطوّرت فيها الكاف ، فأصبحت قافا ، فشابهت الكلمة العربيّة **" قماش "** بمعنى أراذل النّاس و ما وقع على الأرض من فتات الأشياء و متاع البيت ، فأصبحت هذه الكلمة العربيّة ذات دلالة جديدة على المنسوجات . ()

و يدرج إبراهيم أنيس هذا التّطوّر الصّوتي ضمن العنصر الثّاني للاستعمال . () و هو بلى الألفاظ ، إذ يحدث حين يصيب اللّفظ بعض التّغيّر في الصّورة و يصادف بعد ذلك أن يشبه لفظا آخر في صورته

فتختلط الدّلالتان ، و يصبح اللّفظ ممّا يسمّى بالمشترك اللّفظي ، و يترتّب عن هذا التّطوّر الصّوتي تطوّر دلاليّ ، إذ يصبح للّفظ الواحد أكثر من دلالة . ()

4/ خفاء معنى اللّفظ أو نسيان مجال استعماله :

فكثيرا ما ينجم عن انتقال اللّغة من السّلف إلى الخلف تغيُّرٌ في معاني المفردات ، وذلك أنَّ الجيل اللاّحق لا يفهم جميع الكلماتِ على الوجه الذي يفهمها عليه الجيلُ السَّابقُ. () ومن أمثلة ذلك لفظ **"المنيحة"** ، فأصلُ دلالتها النَّاقةُ أو الشّاة ذاتُ اللَّبنِ تُعارُ، ليُنتفعَ بلبنها أيَّامًا، ثُمَّ تُردُّ إلى أهلِها، أو تُعطى لشرب لبنها و جزِّ وبرها و صوفها ، ثمَّ تطوَّر هذا المعنى مع الأجيال إلى المنحِ عامةً ، ناقةً أو غيرهَا ، فكلّ عطيّة منيحة () .

فقد نسي المعنى الأصلي الأوّل و اختفى من الاستعمال ، و بقي الاستعمال الآخر و هو المنح عامّة دون تخصيص ذلك .

و كذلك تغيُّرُ دلالةِ كلمات **" البهلول ، و الغانية و الحاجب "** ، حيث كانت تعني كلمة **"البهلول"** في الشِّعر القديم السّيّد الكريم ، ولكن تغيَّر معناها اليوم ، حيث أصبحت تدلُّ على الرّجل المعتوه الذي لا يدري ماذا يفعل ، و قد تغيّرت حركةُ الباءِ في الكلمة من الضَّمِّ إلى الفتحِ في استعمال عامّة النّاس () ، و **"الغَانيَةُ "** كانت تعني قديما المرأة الجميلة التي استغنت بجمالها عن الزّينة () ، و هي الآن المرأة السّاقطة . ()، و الحاجب كانت تعني في الدّولة الأندلسيّة ما يقابل رئيس الوزراء الآن ، و لكنَّها في عصرنا الحالي لا تعني أكثر من الحارس أو الخادم () ، فخفاء معنى اللَّفظِ أو نسيانُ طرائق استعماله له أثر في تطوُّرِ المعنى .()

5/ أثرُ بعضِ القواعدِ اللّغويَّةِ:

قد تعمل قواعد اللّغة على تغيير مدلول الكلمة ، وتساعد على توجيهها وجهة خاصّة ، و من أمثلة ذلك استعمال كلمة **" ولد "** للدّلالة على المذّكر ، على الرّغم من دلالتها في الأصل على عموم المولود ذكرا

كان أو أنثى () ، و هو صريح التّعبير اللّغوي و الشّرعي للكلمة في **القرآن الكريم** ، قال تعالى : ﴿ **يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ** ﴾ **[النّساء: 11]** ، فاستعمالها كثيرا في معنى المذكّر جعلها ترتبط في الذّهن مباشرة بالمذكّر ، إذ أصبحت لا تطلق إلاّ على المذكّر.

و كذلك كلمة" **سراويل**" المُعَرَّبة من الفارسيّة، تدلُّ على المفرد، وهي على وزن "فعاليل" إحدى صيغ الجموع في اللّغة العربيّة، ولذلك توهَّمها بعض العرب جمعا مفرده "**سروال**" () ، **قال الأزهري (ت 370هـ) :** « و السّراويلُ معرَّبة ، و جاء السّراويلُ على لفظ الجماعة ، وهي واحدة، وقد سَمِعتُ غيرَ واحدٍ من الأعراب يقول : سِروالٌ، و إذا قالوا سَراويلُ أنّثوا ، **و قال** اللّيث : السَّراويلُ أعجميّة أُعرِبتْ و أُنّثت و تجمع سَراويلات ، قال : و سَرْوَلْتُهُ ، إذا ألبستُه السّراويلَ . » ()

6/- انتقال اللّفظ من لغة إلى أخرى :

قد يتغيَّرُ مدلولُ الكلمة عند انتقالِها من لغةٍ إلى أخرى أو من لهجةٍ إلى أخرى ، وهنا تتدخَّلُ العوامل النّفسيّةُ والاجتماعيّةُ للتحكّم في مدلول الكلمات ، فقد ترتفع كلمات حتى تعدّ من نبيل القول و مصطفاه، وقد تنحدر كلمات أخرى حتىَّ تصبح من فحش القول، وقد ينقرض معنىً أساسيٌّ ويتغلَّبُ عليه معنى جديد . ()

و من أمثلة ذلك كلمة " **قماش** " العربيّة التي تذكر لها القواميس العربيّة معنى السّقط و الدّون من كلِّ شيءٍ ، كما تقال لأراذل النّاس ، دون أن يكون من معناها ما يُتَّخذُ منه اللِّباس ونحوه ، إلاّ ما ورد في قليل من المعاجم ، و يحتمل أن يكون نطقها قد تغيَّر بشكل **أو بآخر** ، فقاربتِ الكلمةُ الفارسيَّة " **كماش** " التي تعني النّسيج من القطن ، فأخذت العربيَّة من نظيرتها الفارسيّة حتى غلبت معنى النّسيج على المعنى الأصليّ نفسِه في العربيّة ، وقد تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا ، حيث عدّ التّطور تطوّرا صوتيّا . ()

كما تعمد كلُّ لغةٍ إلى التَّوسُّعِ في ألفاظها عن طريق استعانتها بلغات أخرى و هو ما يعرف بالاقتراضِ اللُّغويّ ، فتلجأُ إلى التَّحوير في بنيتها و جعلِها على نسيجِ كلماتِها ، ومن أمثلة ما اقترضته اللّغة العربيّة

كلمة " **السّكّر** " و هي المادّة الحلوة المعروفة ، و تكاد تكون هذه التّسمية عالميّة إلاّ في بعض اللّغات ، حيث يطلق عليها في اليبانيّة " **ساتو**" و في الأندونيسيّة " **جولا** " إلى جانب كلمة " **السّكر** "، و قيل بأنّها من أصل هنديّ ، و أنّها ترجع إلى السّنسكريتيّة القديمة ، حيث توجد كلمة " **سركرا** " و كان معناها الأصليّ حبيبات الرّمل ؛ لأنّهم كانوا يستعملون السّكر مسحوقا كحبيبات الرّمل ، و كلمة " **الشَّاي**" التي طرأت عليها بعض التّغييرات الصّوتية الطّفيفة ، فهي في الفارسيَّةِ و التُّركيَّةِ " **تشاي** " ، و أصلها من اللّغة الصّينيّة ، و الكلمة الدّالة عليها **هي** " **تشا** " " **Tchaa** ".

و كلمة " **الرِّيال** " و هي عملة لنقد قديم عرف في المغرب ، و في كثير من بلاد الشرق العربي ، و أصلها من كلمة "**ريال**" " **Real** " الإسبانيّة التي تقابل الإنجليزيّة و الفرنسيّة " **رويال** " " **Royal** " بمعنى الملكي .() ، كما استعارت اللّغات الأجنبيّة بعضا من ألفاظ اللّغة العربيّة بعد أن صبغتها بصبغتها و غيّرت من صورتها ، و من أمثلة ذلك : كلمات " شراب " " **Sirup**"، "**الجبر**" " **Algebra**" "**الكحول**" " **Alcohol**" ، "**قهوة** " " **Coffe** "، "**منارة** " "**Minaret** "، "**ترجمان** " "**Dragoman**"، إذ قوبلت كلّ كلمة عربيّة بكلمة أجنبيّة مع تغيير طفيف في هيئتها () ، و يرى **إبراهيم أنيس** أنّ عامل الاقتراض بين اللّغات يعود إلى عامل الحاجة ، و هو العامل الثّاني في تطوّر الدّلالة بعد عامل الاستعمال .()

ثانيا : الأسباب التّاريخيّة والاجتماعيّة و النّفسيّة :

إنَّ عوامل التّغيّر الدّلاليّ لا يمكن فصلها عن بعضها ، لأنّها متداخلة فيما بينها ، فالعوامل التَّاريخيّة لا يظهر أثرها إلاّ في محيطٍ اجتماعيٍّ يحيا و يتفاعل أفراده في جوٍّ ثقافيٍّ معيَّنٍ ، كما لا يمكن فصلها أيضا عن الاستعمالِ اللُّغويِّ للكلمة ، و الذي لا يمكن فصلُ عناصرهِ عن هذه العوامل ، كما تمّت الإشارة إلى ذلك سابقا ، و فيما يلي توضيح لهذه الأسباب :

أ- الأسباب التّاريخيّة :

تنتقل الألفاظ و تتطوّر معانيها من عصر إلى آخر ، أو من فترة زمنيّة إلى أخرى ، وذلك توافقا مع الأحداث التّاريخيّة التي تعرفها كلّ فترة ، ففي العصر الإسلامي مثلا أدّى ظهور الإسلام إلى تغيير كبير في

دلالات الألفاظ ، و بروز ألفاظ جديدة و ترك ألفاظ أخرى ، أو تجاوز المعنى العام و جعله أكثر خصوصيَّة ، أو تجاوز المعنى الخاصِّ و جعله أكثر عموميَّة ، و من أمثلة ذلك ألفاظ المؤمن و المسلم و الكافر و الصّلاة و الزّكاة و الصّوم و الحجّ و غيرها من الألفاظ الإسلاميّة التي جاء بها الإسلام بدلالات مغايرة لما كانت عليه ، و قد تمّت الإشارة إليها سابقا . ()

و قد تبدو بعض استعمالات الألفاظ في معان معيّنة غريبة نوعا ما على المتكلّمين حتّى و لو كانوا في الفترة التّاريخية نفسها ، وذلك لاستعمالها في معان معيّنة لم يتعوّدوا على سماعها ، و من أمثلة ذلك ما ذكره **أبو عبيد** من حديث **النّبيّ صلى الله عليه وسلّم** ، وقد سُئل : أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ ، فقال: "الصَّادِقُ اللِّسانِ ، المَخْمُومُ القلبِ" ، قالوا : هذا الصَّادِقُ اللِّسانِ قد عرفناه ، فمَا المَخْمُوْمُ القَلْبِ؟ ، فقال: "هو النَّقِيُّ الذي لا غِلَّ فيه ولا حسدَ" .()

و يستنتج من هذا الحديث أنّ لفظ "مخموم القلب" قد يكون لفظا غريبا على الصّحابة ، ولعلَّ وجه الغرابة فيه هو استعماله الجديد الذي استعمله به النَّبيُّ صلى الله عليه وسلَّم ، إذ يحتمل أنّهم لم يعرفوا "المخموم" إلاّ بمعنى "المكنوس" ، يقال : خَمَمْتُ البيتَ ، إذا كنستُهُ، ومنه سُمِّيت الخُمَامَةُ ، و هي مِثلُ القُمَامةِ والكُناسَةِ. () ، و كما استحدثت معان جديدة في العصر الإسلامي استحدثت أيضا بعض الألفاظ الجديدة ، منها : المخضرم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهليّة ، () و الجهاد بدلا من الحرب و الغزو و الإغارة ، حيث تغيّر اللّفظ الدّال على الحرب لتغيّر مفهومها في الأذهان () و " **بسم الله الرّحمن الرّحيم** "، **فاتحة الكتاب** و فاتحة كلّ السّور ، و "**الحمد لله رب العالمين** " ، و " **لا حول و لا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم** " ، و " **حسبنا الله و نعم الوكيل** " ، و " **السّلام عليكم** " و غيرها من الكلمات و العبارات الإسلاميّة التي أتى بها الإسلام ، و لم يكن للأمم السّابقة عهد بها () ، و قد زالت أيضا ألفاظ بزوال معانيها ، و قد كانت متداولة بكثرة في العصر الجاهلي ، حيث ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهليّة و عاداتهم ، و من أمثلة ذلك : " **المِرْباعُ** " و هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرّئيس في الجاهليّة و "**النَّشِيطة** " ، و هي ما يغنمه الغزاة في الطّريق قبل

الوصول إلى الموضع الذي قصدوه ، و **"الفُضُولُ "**، و هو ما فَضَلَ من القسمة ممّا لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير و السّكين و نحوهما ، و **" المَكْسُ "** و هو دراهم كانت تؤخذ من بائع السّلع في الأسواق الجاهليّة ، و **" الإتاوةُ "** و هو **الخَرَاجُ** ، و **" الحُلْوانُ "** و هو أن يأخذ الرّجل من مهر ابنته لنفسه و هذا عار عند العرب ، و قول المملوك لمالكه **" ربّي "** و تسمية من لم يحجّ **" صَرورة "** و غير ذلك من الألفاظ التي ترك استعمالها بمجيء الإسلام . () [1]

وممّا هو ملاحظ على بعض هذه الألفاظ أنّها لم تعد أيضا مستعملة في لغتنا الآن ، كالمرباع و الإتاوة و بعضها مستعمل في غير معناها الأصليّ كالفُضُول ، أو أضيفت لها بعض المعاني ، كالحُلوان ، و بعضها أعيد إحياؤها بعد إهمالها ، مثل : " المَكْس " ، و هو ما يؤكّد فكرة أنّ اللّغة في تطوّر مستمرّ ، فألفاظها و دلالاتها في تطوّر دائم و مستمرّ ، فقد تموت ألفاظ ، و تحيا ألفاظ أخرى ، أو يعاد إحياؤها ، و قد تظهر دلالات جديدة و تختفي أخرى ، و يكثر استعمال بعضها ، و يقلّ بعضها الآخر ، و ذلك حسب مقتضيات المجتمع و التّاريخ و الحضارة.

و بالعودة إلى الأحداث التّاريخيّة التي نعيشها الآن، فإنّه يمكن أيضا تسجيل كثير من الألفاظ التي أعيد بعثها من جديد وإضافة لها بعض المعاني التي توافق مستجدّات هذه الأحداث، ومن أمثلة ذلك كلمة

---

[1])- ينظر: معاني هذه الألفاظ في معجم لسان العرب ، المرباعُ : ما يأخذه الرّئيس و هو ربع الغنيمة ، و قد كانوا في الجاهليّة إذا غزا بعضهم بعضا و غنِموا ، أخذ الرّئيس ربعَ الغنيمة خالصا دون أصحابه ، و النّشيطة : ما أصاب من الغنيمة قبل أن يصير إلى مجتمع الحيّ ، و الفُضُولُ : ما عُجِزَ أن يُقسَمَ لقلّته و خُصَّ به ، م 3، ج 18 ، مادّة (ربع) ، و المَكْسُ : الجِباية ، دراهِمُ كانت تؤخذ من بائع السِّلع في الأسواق الجاهليّة ، م 6 ، ج 47 ، ص 4248 ،مادّة (مكس) ، الإتَاوةُ : الرّشوةُ و الخَراجُ ، كلّ ما أخذ بكره أو قسِّم على موضع من الجِباية و غيرها ، م1 ، ج 1 ، مادّة (أتى) ، الحُلوَانُ : و هو أن يأخذ الرّجُلُ من مهر ابنته لنفسه وهذا عار عند العرب ، م 2 ، ج 12 ، مادّة (حلا) ، الصَّرورةُ : لم يَحُجَّ قَطُّ ،و أصله من الصَّرّ الحبسِ و المنعِ ، و الصّرورة في شعر النّابغة الذي لم يأت النّساء ، م 4 ، ج27 ، مادّة (صرر) .

"**الحَراك** " التي كانت تعني في عمومها الحركة و هي ضدّ السّكون. () ، و قد خصّص معناها في لغتنا المعاصرة ، حيث ارتبطت بمعنى الاحتجاج و الانقلاب على السّلطة و محاولة إحداث التّغيير في النّظم السّياسيّة و الاقتصاديّة و الاجتماعيّة و الأخلاقيّة و غيرها ، و قد كان ذلك توازيا مع ما يحدث في مختلف البلدان من احتجاجات ضدّ نظام السّلطة ، لا سيما ارتباطها بما حدث في **الجزائر يوم 22 فيفري 2019** م ، و قد شاع استعمالها في بداية تداولها عبر وسائل الإعلام بكسر الحاء بدلا من فتحها ، لكن سرعان ما تم التّراجع عن استعمالها بالكسر و استبدالها بالفتح ، و ذلك ربّما عملا بما ورد في معاجم الأخطاء اللّغويّة ، إذ الأصحّ في نظر أصحابها " الحَراك " بالفتح بدلا من الكسر لعدم ضبط الكلمة في أغلبية المعاجم التّراثيّة بالكسر ، مع إشارتهم إلى تفرّد بعض علماء اللّغة بالإشارة إلى ضبطها بالكسر ، كالزّبيدي في كتابه "**تاج العروس** " و الشّهاب الخفاجي في كتابه " **عناية القاضي و كفاية الرّاضي** " و عدّت في نظرهم روايات شاذّة لا يلتفت إليها . ()

و الحقيقة في نظرنا أنّه لا يمكن الجزم بصحّة ما ورد من تصحيح لغويّ في ضبط هذه الكلمة بالفتح بدلا من الكسر ، إذ الأمر يحتاج إلى البحث في الموضوع أكثر ، فقد يكون ضبط الكلمة بالكسر أمرا مقبولا لاعتبارات معيّنة :

*يمكن قبول الاستعمال المرفوض بالمعنى الجديد من باب التّوسّع الدّلاليّ كما ذهب إلى ذلك **أحمد مختار عمر و فريقه المساعد في معجم الصّواب اللّغوي** () ، و انطلاقا من هذا الحكم ألا يمكن أيضا قبول الاستعمال المرفوض بالضّبط الجديد خاصّة إذا شاع استعماله من باب التّوسّع الدّلالي أيضا ؟ .

* الوزن الذي ضبطت على أساسه الكلمة و هو وزن " **فِعَال** " وزن وارد ضمن أبنية أوزان العربيّة سواء بالنّسبة لأبنية الأسماء الثّلاثيّة المزيدة بحرف أو أبنية المصادر السّماعيّة () ؟ .

* يجيز المجمع اللّغوي العربي بالقاهرة تكملة الاشتقاقات اللّغوية للكلمة إذا لم ترد في المعاجم التّراثيّة .

* التّغيّر اللّغوي تغيّر يصيب اللّغة في مختلف مستوياتها ؛ صوتيّة و صرفيّة و نحويّة ودلاليّة ، ألا يعدّ هذا الضّبط الجديد للكلمة تغيّرا أصابها على مستوى بنيتها ؟

* اللّغة ليست هامدة أو ساكنة بحال من الأحوال ، و بذلك ينبغي تقبّل ما يطرأ على أنظمتها من تغيير ، و إلاّ ما الدّاعي إلى القول بحتميّة التّطوّر اللّغويّ ؟

* يمكن تخريج ضبط الكلمة و قبولها ضمن الاستعمال اللّغويّ على أساس أنّ الكلمة لحقها تطوّر لغويّ ، و ليس المراد من فكرة التّطوّر اللّغوي الحكم على هذا التّطوّر بالقبح أو الحسن ، و القوّة أو الضّعف ، بل تتبّع التّغيّر الذي يصيب اللّغة فقط بغضّ النّظر عن تقييم ذلك ، و لو أهملت هذه الفكرة لضاع كثير من كلام اللّغة المستحدث .

* لا يمكن الحكم على أنّ ضبط الكلمة بالكسر ضبطا خاطئا بالنّظر إلى ما ورد في كتب و معاجم التّراث العربي ؛ لأنّ لغة الأمس ليست هي لغة اليوم ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى يتمّ الحكم على كلمة ما بأنّها خالفت مستوى الصّواب اللّغوي باستقراء كلّ ما ورد في معاجم اللّغة قديمها و حديثها ، وهو أمر من الصّعب تحقيقه ، إذ لا يمكن تصفّح كلّ ما ورد في هذه المعاجم ، فقد نغفل عن الرّجوع إلى بعض المعاجم و بذلك يكون الحكم حكما ناقصا و جزافيّا .

* ينبغي مراعاة أقوال بعض العلماء التي أشارت إلى هذا الضّبط حتّى و إن كانت شاذّة ، فكثير هي الأحكام الشّاذة التي أخذت بعين الاعتبار و عدّت صحيحة ، **يقول الزّبيدي :** « و يقال ما به حَرَاكٌ ، كسَحَابٍ ، أي حَرَكَةً ، قاله ابن سيده ، يُقَالُ : قد أعْيَا فَمَا به حَرَاكٌ ، و نقل الخَفاجيُّ في العناية في سورة النّجم ، و قد يُكْسَرُ، قال شيخُنا ، ولا يُلتفَتُ إليه ، فإنّ الصَّواب كما ضبطَهُ المصنِّفُ .» ()

* ينبغي الاعتداد بمن خالف الرّأي في مسألة ما ، فليس كلّ من خالف رأيا ما نسب إلى الجهل على حدّ تعبير **ابن فارس** . () ، **يقول :** « و ليس كلّ من خالف قائلا في مقالته فقد نسبنه إلى الجهل ، و ذلك أنّ الصّدر الأوّل اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضا ، ثمّ خلَفَ من بعدهم مَنْ خلَفَ ، فأخذ بعضهم بقول و أخذ بعض بقول ، حسب اجتهادهم و مادلّتهم الدّلالة عليه . . ()

* يمكن الاستناد في قبول ضبط الكلمة بالكسر على ما أكّده بعض علماء اللّغة من أنّ لغة العرب من غير الممكن أن يحاط بها ، و هي لغة لم تنته إلينا بكلّيتها و أنّ الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير ، و أنّ كثيرا من الكلام ذهب بذهاب أهله . ()

* يمكن تخريج ضبط الكلمة على أساس أنّها اسم مصدر من الفعل تحرَّكَ ، فالمصدر هو الاسم الذي يدلّ على الحدث المجرّد و يشتمل في الغالب على كلّ الحروف الأصليّة و الزّائدة التي يشتمل عليها فعلُه المأخوذ منه ، أو أكثر منها ، بينما اسم المصدر هو ما ساوى المصدر في الدّلالة على معناه ، لكنّه يخالفه في خلوّه لفظا أو تقديرا من بعض حروف فعله دون تعويض . () فحراك قد يكون مساويا لتحرُّك في المعنى ،لكنّه مخالف له بنقص التّاء و التّضعيف من فعله من غير تعويض .

* مراعاة السّهولة و اليسر في النّطق تماشيا مع ما يكون ميسّرا على المتكلّم فنطق الكلمة بالكسر أسهل من نطقها بالفتح .

و انطلاقا من هذه الاعتبارات، وهي اعتبارات تحتاج أيضا إلى التّوسّع أكثر ، فلا يمكن الحكم على ضبط هذه الكلمة بكسر حائها بأنّه ضبط مرفوض و خطأ لغويّ ، بل يمكن قبوله بناء على ما تمّ تحليله ، و الله أعلم .

و هذه الألفاظ التي لوحظ تطوّرها و التي لا يمكن حصرها في هذا المقام ، لا يمكن في حقيقة الأمر إرجاعها إلى عوامل تاريخيّة بحتة ، و إنّما يشترك في تطوّرها العديد من الأسباب منها السّياسيّة و الثّقافيّة و الاجتماعيّة والحضاريّة و حتى اللّغويّة ، و قد قلنا سابقا بأنّ هذه الأسباب متداخلة لا يمكن الفصل بينها . فالسّبب الواحد له أوجه متعدّدة .

ب- الأسباب الاجتماعيّة :

للأسباب الاجتماعية أثرها الواضح في تغيّر دلالة الألفاظ ؛ لأنَّ اللّغةَ تنمو بنموّ المجتمع و تتطوَّر بتطوُّره ، و غالبا ما يكون هذا التّغيّر صدى لتغيّر الميول الاجتماعيّ . () ، و فيما يلي توضيح لكيفيّة تأثير التّغيّر الاجتماعي في التّغيّر الدّلاليّ و الذي يظهر في عدّة صور ، منها :

* **تباين طبقات المجتمع في التّفكير و نظم الحياة و التّعلّم و الثّقافة و غير ذلك** ، يؤدّي بلا شكّ إلى تغيّر دلالات الألفاظ ، فكلّ طبقة اجتماعيّة لها ألفاظها الخاصّة بها التي تتعامل بها ، و لها فهم خاصّ لدلالات ألفاظها ، و التي لا تخرج عن إطار تخصّصها ، فكلمات الحقل ، حصّة ، حصاد ، مثلا ، تختلف دلالتها باختلاف مجال انتمائها ، و مجال مستعملها . **فالحصاد** مثلا بالنّسبة لمجال الزّراعة أوان الحصاد ، و هو الزّرْعُ و البُرُّ المحصود بعدما يُحْصَدُ و هو قطعُ الزّرعِ و جنيُ الثّمارِ () ، في حين تعني في وسائل الإعلام الحاليّة خلاصة الأخبار بمختلف أنواعها ، وكلمة "**الحقل** " تعني في مجال الزّراعة الزّرع إذا تشعّبت أغصانُه ، و أحقلَ الزَّرعُ و في أرضه مَحَاقِلُ ، أي مَزارِعُ () ، و تعني في مجال علم الدّلالة المجال الذي تنتمي إليه الكلمة ، و كلمة "الحصّة " تعني أيضا النّصيب من الطّعام أو الشّراب في **مجال** الحياة بصورة عامّة و تعني النّصيب من الأرض في مجال الفلاحة ، بينما تعني في مجال التّعليم بصورة خاصّة الفترة الزّمنية المحدّدة للدّراسة في اليوم لمادّة معيّنة . ()

و لا يخفى في هذا المقام أنّ للسّياق دورا كبيرا في تحديد دلالات الكلمات ، فالسّياق هو الذي يفرض انتماء دلالة كلمة معيّنة إلى مجال معيّن .

* **تبدّل العادات و تغيّرها خلال العصور يؤدّي أيضا إلى تغيّر مدلولات الكلمة** ، و من أمثلة ذلك أنّ من يتزّوج من العرب كان يخرج عن بيت أبيه و يبني لنفسه خباءً مستقلاّ و لذلك قالوا " بنى بزوجته "، أي بنى بيتا معها ، وكان المهر المستعمل إبلا أو غنما تساق فقالوا "السّياق " بمعنى المهر و ساق لها ، و كانوا إذا باعوا شيئا صفّق البائع على يد المشتري فسمّوا البيع " **صفقة** " وبقي اللّفظ و ذهبت عادة الصّفق () ، في حين تغيّرت الآن مدلولات هذه الكلمات بتغيّر عادات و طبائع المجتمع .

***الدّين :** للدّين دور واضح في تطوّر دلالات الألفاظ ؛ لأنّه يأتي بتشريعات و معتقدات و عبادات و أحكام لا عهد للمجتمع بها ، و خير دليل على ذلك ما أحدثه الإسلام من تغييرات على مستوى التّشريع و الأحكام الفقهيّة ممّا أدّى ذلك إلى ظهور ألفاظ جديدة لم تكن معروفة من قبل ، مثل الفتوح و الجهاد و غيرها ، و إضفاء دلالات جديدة على كلمات كانت تستعمل قديما بمفاهيم مختلفة ، مثل : **الصّلاة و الصّوم و الزّكاة** و غيرها ، و إهمال بعض الكلمات التي كانت تستعمل قديما ، مثل **المرباع** ، و المِرْباعُ " و هو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرّئيس في الجاهليّة ، و "النَّشِيطة " ، و هي ما يغنمه الغزاة في الطّريق قبل الوصول إلى الموضع الذي قصدوه ، و **"الفُضُولُ "**، و هو ما فَضَلَ من القسمة ممّا لا تصحّ قسمته على عدد الغزاة كالبعير و السّكّين ، و نحوهما .

*** التّطوّر العلمي التّقني الذي يشهده المجتمع في كلّ مرّة يؤدّي إلى استحداث مدلولات جديدة لألفاظ قديمة توافق مستجدّات العصر** ، و من أمثلة ذلك كلمات **" القطار" " السّيارة " ، الهاتف و غيرها** ، فالقطار كان عند العرب مجموعة من الجمال يسير الواحد منها وراء الآخر و قد قرُب بعضها إلى بعضٍ ، يُقال : جاءتِ الإبلُ قِطارا بالكسر ؛ أي مقطورة ، و القِطَارُ أن تقْطُرَ الإبلَ بعضَها إلى بعضٍ على نسقٍ واحدٍ ، و القطارُ أن تُشدَّ الإبلُ على نسقٍ ، واحدًا خلفَ واحدٍ ، و قَطَرَ الإبلَ يقطُرُها قَطْرًا و قَطَّرَهَا : قرَّب بعضَها إلى بعضٍ على نسقٍ . ()

و نُقل اللَّفظ في العصر الحديث للدّلالة على مجموعة عربات السِّكّة الحديديّة تجرّها قاطرة تنقل النّاس و البضائع . ()

أمّا " السَّيَّارة " : فهي من الفعل سار يسير ، و قد كانت تدلّ في الأصل على القافلة ، أو القوم الذين يسيرون ، و أُنّث على معنى الرُّفقَةِ أو الجَماعةِ ()، قال تعالى في سورة يوسف : ﴿ **وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلِىٰ دَلْوَهُۥ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً وَاللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ** ﴾

[يوسف : 19] ، وواضح أنَّ السَّيارة بمعنى القافلة اسم جمع يدلُّ على مجموع المسافرين في القافلة و يزداد ذلك وضوحا في قوله تعالى : ﴿ **قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ اِلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ اُلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ** ﴾ **[يوسف : 10]** ، و نظرا لوجود كلمة القافلة ، فقد نقل المحدثون الكلمة إلى معنى عربة (الأتوموبيل) () ، و ممّا هو ملاحظ أنَّ في عصرنا الحاضر لم يعد لتلك الدّلالة مكان إلاّ **ما** حفظته لنا المعاجم و التّفاسير و كتب اللّغة ؛ لأنَّ السيارة اليوم يراد بها تلك العربة الآليّة السّريعة السّير التي تستعمل في نقل النّاس أو البضائع ، تسير بالبنزين ونحوه ().

أمّا " الهاتف " ، فهو من الفعل هتف و معناه : صاح ، و دعا و نادى ، و يقال سَمِعْتُ هاتفا يهتِفُ إذا كنتَ تسمَعُ الصَّوتَ و لا تبصِرُ أحدا () ، و يستعمل في اللّغة الحديثةِ بمعنى التِّليفون ، و قيل بأنّ الهاتف في الأساطير العربيّة القديمة نوع من الجنِّ يُسمع صوتُه و لا يُرى شخصُه ومن هنا جاء في ذهن المحدثين وجهُ الشَّبه بينه و بين من يتحدَّث مع غيره بهذه الآلة فيسمعه و لا يراه () ، و قد نلاحظ تطوّرا آخر حصل لمعنى لفظة الهاتف في لغتنا المعاصرة نتيجة التّطوّر التّكنولوجيّ الذي يعرفه المجتمع ، إذ أصبح الهاتف وسيلة يتحدّث بها مع الغير صوتا و صورة ، و بذلك فالمعنى الجديد لا يقتصر على سماع الصّوت و عدم رؤية من تتحدّث معه ، بل يتجاوز ذلك إلى سماع الصّوت و رؤية من تتحدّث معه في الوقت نفسه.

و قد يؤدّي التّطوّر العلمي التّقني الذي يشهده المجتمع في كلّ مرّة أيضا إلى استحداث ألفاظ جديدة بمدلولات جديدة أيضا لم تكن معروفة من قبل ، **يقول فندريس :** « ذلك أنّ الحياة تشجّع على تغيّر المفردات ؛ لأنّها تضاعف الأسباب التي تؤثّر في الكلمات و العلاقات الاجتماعيّة و الصّناعات و العُدد المتنوّعة تعمل على تغيّر المفردات و تقضي على الكلمات القديمة أو تحوّر معناها و تتطلّب خلق كلمات جديدة » () ، و من أمثلة ذلك ، كلمات **الفيسبوك** ، **التّويتر** ، **واتساب** ، **الإنستغرام** ، و غيرها من

ألفاظ التّواصل الاجتماعي التي باتت تطغى على وسائل أخرى في التّواصل ، و الألفاظ المقترضة من اللّغات الأجنبيّة بصورة عامّة بغية مسايرة كلّ مستجدّات العصر.

*** قد تؤدّي التّغيّرات الاجتماعيّة المصاحبة لبعض الأحداث الاجتماعيّة المفاجئة إلى إحياء بعض الكلمات القديمة** و إبرازها بشكل لافت و يعود الفضل في ذلك إلى وسائل الإعلام بمختلف أنواعها ، وخير مثال على ذلك كلمة **" الجائحة "** التي صاحبت هذا التّغيّر الاجتماعيّ المفاجئ ، إذ و بعدما كان العالم يعيش أجواء أخرى من الصّراعات و المشاكل ، فقد بات اليوم منشغلا فقط بهذا الوباء الذي فتك بالعالم بأسره ، و قد كانت بدايته في الصّين في **أواخر شهر مارس 2019م** ، ثمّ اجتاح العالم كلّه ، فمن عدوى إلى وباء إلى جائحة ، **" فالجّائحة "** ، كلمة قديمة أعيد إحياؤها و ذاع استعمالها بشكل لافت للنّظر مع تغيير جزئيّ في معناها ، ففي غريب الحديث ، قال **أبو عبيد** في حديث النّبيّ صلّى الله عليه و سلّم أنّ رجلا قال له يا رسولَ الله إنّا قومٌ نتساءَلُ أموالَنا بيننا ، فقال : يسألُ الرّجلُ في **الجائحَة** و الفَتْقِ فإذا استغْنَى أو كرُب استعَفَّ .... و أمّا قوله " في الجائحة" ، فإنّها المصيبة تحلُّ بالرَّجُل في ماله فتجتاحُه كلَّه، و أمّا " الفَتقُ " فالحربُ تكون بين الفريقين فتقعُ بينهما الدِّماءُ و الجِراحاتُ فيتحمّلها رجلٌ ليُصْلحَ بذلك بينهم و يحقِنَ دماءَهُمْ فيسألُ فيها حتّى يؤدّيها إليهم . () ، **و في لسان العرب** وردت عدّة أقوال : الجَوْحَةُ و الجَائِحَةُ : الشِّدَّةُ و النَّازِلةُ العظيمةُ التي تجتاحُ المالَ من سنةٍ أو فتنَةٍ ...، و جَاحَهُ الله ما له و أجَاحَهُ بمعنى : أهلَكَهُ بالجَائِحَة ، و هي المصيبة تحلُّ بالرَّجلِ في ماله فتجتاحُه كلَّه ،...، و هي سنةٌ شديدةٌ اجتاحت أموالَهم فلم تدَعْ لهم وِجَاحًا ... و الجائحةُ تكون بالبَرَد يقع من السَّماء إذا عظُم حجمُهُ فكثُرَ ضرَرُهُ ، و تكون بالبرْدِ المُحرِقِ أو الحرِّ المفْرِطِ ، حيث يبطُلُ الثَّمنُ ، و هي آفةٌ تجتاح الثَّمَرَ سَماويَّةٌ ، و لا تكونُ إلاّ في الثِّمار ، فَيُخَفَّفُ الثُّلُثُ على الذين اشتروه ، و أصلُ الجائحة السَّنةُ الشَّديدةُ تجتاح الأموالَ و اجتاحَ العدوُّ مالَ فلانٍ إذا أتى عليه . () إذا ، فكلمة **" الجائحة "** أعيد إحياؤها من جديد بعدما غابت عن الاستعمال لفترة زمنيّة طويلة ، و قد أصابها أيضا نوع من التّطوّر ، فبعدما كانت تعني المصيبة و الآفة و الهلاك و السّنة الشّديدة التي تجتاح الأموال و الثّمار و الضّرر

الذي يُلحقه البرَدُ و البرْدُ و الحرُّ ، أصبحت تعني الآفة و المصيبة التي لحقت بصحّة الإنسان أوّلا و التي اجتاحت العالم كلّه فقضت على الإنسانيّة ، و لا شكّ أنّ هذا الاجتياح الذي مسّ صحّة الإنسان يعقبه اجتياح في الأموال و السّياسة و الثّقافة و غيرها .

و تصاحب كلمة " **الجائحة** " كلمة أخرى ذاع استعمالها أيضا و أعيد إحياؤها من جديد ، و هي كلمة " **الحَجْر** " مصحوبة بوصف لها و هو الصِّحيّ " أو المنزليّ و السّبب دائما في هذا الذّيوع يعود إلى وسائل الإعلام و ما تقتضيه الظّروف الاجتماعيّة التي يعيشها المجتمع و التي تفرض استعمالات لغويّة تتطابق و واقعه ، فالحَجْرُ يراد به المَنْعُ ، و قيل المنْعُ من التّصرّف في المال . () ، و قد وسّع استعمالها الآن في المنع من الخروج من المستشفيات و المنازل بهدف منع نقل عدوى مرض فيروس كورونا من شخص إلى آخر .

إذا ، فالمجتمع في تطوّر مستمرّ و يعقب هذا التّطور تغيّر في الألفاظ و الدّلالات ، فتغيّر اللّغة نتيجة حتميّة لتغيّر المجتمع و العكس .

ج- الأسباب النّفسية :

و للأسباب النّفسيّة تأثير أيضا في تغيّر المعنى ، فالآداب الاجتماعيّة والحياء والاشمئزاز والتَّفاؤل، كلّها أسباب نفسيّة تدعو إلى تجنُّب كثير من الألفاظ والعدول عنها إلى غيرها من الألفاظ التي يُكنَّى بها عن الأشياء التي يُسْتَحَى من ذكرها، أو يُخَافُ أو يُتَشَاءم من التَّلفظِّ بأسمائها () ، وينتج عن هذا الأمر استخدام اللّفظ الواحد في مدلولات عدّة أو تبديل اللّفظ وبقاء المعنى ثابتا ، و يمكن إجمال هذا التّغيّر في مجموعة من العناصر ، أهمّها :

1- الألفاظ المحظورة أو ما يسمّى باللاّمساس :

يعدِل المتكلّم عادة عن الألفاظ الحادّة في التَّعبير و صريحة الدّلالةِ إلى ألفاظ أخرى أقلّ حدّةً ، و أقلّ تصريحا ، و لا يتوقَّف الحدُّ عند استنكار نفسيّة المتكلّم لهذه الألفاظ فقط ، بل يعود الأمر أيضا إلى

استهجان المجتمع لكلِّ الألفاظ التي تصنَّفُ في الطّابوهات و المحظورات ، فلا يكاد لفظ منها يشيع حتى يمجّه الذّوق الاجتماعيّ، وتأباه الآداب العامّة ، فيستعاض عنه بألفاظ كنائيّة من اللّغة نفسها أو من لغة أجنبيّة في بعض الأحيان ، و يتمثّل هذا الاستهجان في الألفاظ التي تشير إلى التّبوّل والتّبرّز، والعمليّة الجنسية، وأعضاء التّناسل، و غيرها من الألفاظ القبيحة ، و من أمثلة ترك الألفاظ التي كانت تستعمل للتبوّل و التّبرّز إلى استعمال كلمات كنائيّة أقل استنكارا و استهجانا من قبل الفرد و المجتمع " قضاء الحاجة "، (بيت الأدب) " دورة المياه " ، و قد يستعاض عنها بكلمات أجنبيّة بدلا من الاستعمال العربيّ لها ، و من أمثلة ما يرتبط بالغريزة الجنسيّة ما استخدمه القرآن الكريم من كناية عن تلك الألفاظ المحظورة بألفاظ أخرى ، مثل : السّرّ ، الحرث ، الإفضاء المباشرة ، الملامسة ، الرّفث ، الإفضاء . ()

2- التّفاؤل والتّشاؤم :

يلجأ المتكلّم نتيجة لتفاؤله إلى استخدام اللّفظ في ضدّ معناه ممّا يؤدّي إلى توسيع دلالات اللّفظ ، ومن ذلك : إطلاق تسمية الصّحراء مفازة تفاؤلا بالنّجاة من المخاطر التي تعترض سالكها ، و تسمية الأعمى بصيرا عزاء لحالته التي تؤلم النّفس و أملا أن يعوّضه الله نورا في بصيرته ، و السّليم للّديغ ممّا يعني توسّعا في دلالة ألفاظ الصّحراء و الأعمى و السّليم .

كما يلجأ المتكلّم نتيجة لتشاؤمه إلى ترك الألفاظ التي تدلّ على شيء يقلق النّفس و يخلق فيها نزعة التّشاؤم ممّا يؤدّي إلى توسيع دلالات اللّفظ أو العبارة أيضا ، و من أمثلة ذلك : الكناية عن الموت بالذّهاب و الوفاة و فيضان الرّوح ، و الكناية عن أسماء بعض الأمراض ، مثل : مرض السّرطان ، فبدلا من التّصريح باسمه يقال عنه المرض الخبيث ، و كذلك الحمّى يكنّى عنها في بعض المناطق البدائيّة بالمبروكة ، و لأسماء العفاريت و الجنّ و الشّياطين و الحشرات أيضا رموز أخرى مكنّاة عنها .

()

و من هنا فإنّه لا يمكن استعمال الكلمة بمعناها المنطقيّ (القاموسيّ) مفصولا عن مضمونها النّفسي ، فالكلمة عندما تصدر عنّا أو عندما تصل إلى أسماعنا تتضمّن المعنيين معا المنطقيّ و النّفسيّ في الوقت نفسه . ()

قائمة المصادر و المراجع :

- أحمد مختار عمر ، بمساعدة فريق عمل ، معجم اللّغة العربيّة المعاصرة

- أحمد مختار عمر ، معجم الصّواب اللّغوي -

- حسن ظاظا ، اللّسان و الإنسان ، مدخل إلى معرفة اللّغة

-ج ،فندريس ، اللّغة ، ترجمة عبد الحميد الدّواخلى ، محمّد القصاص ، تقديم فاطمة خليل ، . المركز القومي للتّرجمة ، القاهرة

ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللّغة .

- الزّبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس .

-عبد السّلام المسدّي ، اللّسانيات و أسسها المعرفيّة .

-علي عبد الواحد وافي : علم اللّغة .

- عبد الغفّار حامد هلال ، علم اللغة بين القديم و الحديث .

_محمّد محمّد داود ، العربيّة و علم اللّغة الحديث ، دار غريب للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة ، 2001م .

-عُودة ، خليل أبو عُودة ، التّطوّر الدّلاليّ بين لغة الشّعر الجاهلي و لغة القرآن الكريم ، دراسة دلاليّة مقارنة ، مكتبة المنار ، الأردن ، ط 1/ 1405هـ -1985م .

_ -إبراهيم أنيس ، دلالة الألفاظ .

-الصّنعاني ، أبو بكر عبد الرّزّاق بن همّام (ت 211ه) المصنّف ، تحقيق : حبيب الرّحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي . بيروت ، لبنان ، ط1– 1392ه ، 1972م .

-الخطّابي ، أبو سليمان ، حمد بن محمّد بن إبراهيم الخطّابي البُستي (388ه) ، غريب الحديث ، تحقيق عبد الكريم إبراهيم العزباوي ، دار الفكر ، دمشق ، 1402ه – 1982م .

-أبو عبيد القاسم بن سلاّم الهروي (ت 224ه) ، غريب الحديث ، تحقيق حسين محمّد محمّد شرف ، مراجعة محمّد عبد الغني حسن ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة ، القاهرة ، 1404ه - 1984م .

-ابن منظور ، لسان العرب .

-محمود السّعران ، علم اللّغة مقدّمة للقارئ العربي.

-محمّد المبارك : فقه اللّغة و خصائص العربيّة .

-